ولاشك أن هذه المعارضة تظل شاهداً على التقاء الشاعرَيْن ، وكذا على عنصر القصد الكامن من ورائها منذ صياغة المطلع العمرى المشهور :

أمِنْ آل نُعم أنتَ غـاد فـمُـبكر غـداةَ غـدٍ أمْ رائحٌ فَـمَـهـجَّـر ؟

إلى مطلع جميل الذى يستوحى فيه نفس الصيغة الاستفهامية بما تعكسه من عالم القلق والحيرة إزاء التساؤل ، مع اختيار الاسم المحورى للغزل على نفس المستوى الإيقاعى ، وإن انصرفت دلالته الرمزية - بالتأكيد - إلى بثينة عند جميل ، إذ يقول فى استهلاله :

أغـادٍ أخى من آل سَلْمَى فـمُـبكر أَبِنْ لى أغـاد أنت أم مـتـهـجـر ؟

وكأن جميلا يعلن صراحة أنه إنما يعارض الرائية الكبرى لعمر ، ولعلها لاقت ذيوعا وشهرة فى عصرها بما يدفع الشعراء إلى الإعجاب بها ، سواء على مستوى القص الذى تمتعت به ، أو على مستوى المادة البدوية التي ازدحمت بها ، والتى ربما كنت وراءها ذاكرة الشاعر العذرى البدوى ، وإن اختلف سلوكًا عن الشاعر الحضارى . وتتأكد لغة المعارضة بعد تجاوز هذا الاستهلال حين يقف جميل عند بعض لوحات عمر ليقترب منها اقترابا شديدا على الرغم من تباين المسلك - كما ذكرنا - وهنا تظل نية المعارضة قائمة من وراء هذا التشابه الذي يمكن أن نتأمل منه بعض المشاهد أو المواقف بما يكفى للدلالة على تأكيد الظاهرة :

(١) نقل المشَاهد من خلال العالم النسائى وزحام حواراته المتميزة بما يكفى لتحليل نفسية المرأة ، وإبداء خوفها على الشاعر الغزِل - وتفكيرها فى الخلاص من الأزمة بتوجيه النصح إليه بألا ينظر إليها حتى يضلِّل القوم ، فكانت الفكرة هنا قاسما مشتركا بينهما ، حيث ردَّد عمر على لسان الفتاة بين أختَيْها قائلة له :

إذا جئتَ فامنحْ طِرفَ عينيك غيرنا لكى يحسَبُوا أنَّ الهوَى حيث تَنْظُرُ

وهى نفس الفكرة التي يعرضها جميل ، ويزيد فى تفاصيلها من منطلق تجربة العذرى ، فيضيف إليها بعداً متميزا فمن حوله الرقيب والواشى والأهل ، ومن ثم يظل جميل هنا قادرا على الانتقاء ، إذ استطاع تحويل الحيلة النسائية التى رسمها عمر إلى اتجاه آخر بدت فيه بدوية إلى حد بعيد :